الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق

خلال القرن الهجري الخامس

أ.د / مُبارك لَمِين

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

© مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لمين ، مبارك

الرحلة العلمية الاندلسية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس./ مبارك لمين .- الرياض ، ١٤٣٩هـ

٤٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢- ٢ - ٩١٠٦٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الاندلس - وصف ورحلات ٢- الاندلس - تاريخ إسلامي ٣- الحضارة الإسلامية - الاندلس

أ - العنوان

ديوي ٩١٤,٦٠٤ ١٤٣٩/٤٨٧٠

رقم الإيداع ١٤٣٩/٤٨٧٠

ردمك:٢- ٢ - ٩١٠٦٧-٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى - ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

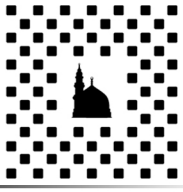

المملكة العربية السعودية | المدينة المنورة 42318 - 6131 | 4536 طريق الملك عبدالله (الدائري الثاني)

3662 المدينة المنورة 41481 Info@mrsc.org.sa www.mrsc.org.sa

K.S.A | Al-Madinah Al-Munawwarah 42318 - 6131 | 4536 king Abdullah Road - (2nd Ring Circle)

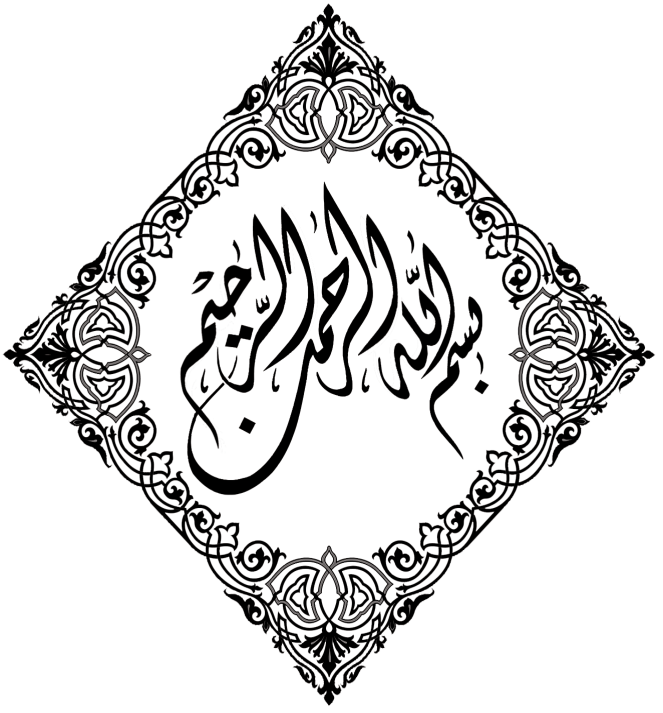
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمدلله رب العالمين حمدا يليق بجلال وجهه وبعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

لا بد لي أن أعترف بالجميل لأستاذي الدكتور امْحمد بن عْبود ، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث ، وهو أصلا رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الإسلام وحضارته .

وشكر الله لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة تفضله بطبع هذا العمل، بدءا بسعادة مديره العام الأستاذ محمد بن مصطفى النعمان، ثم بالمشرف على الشؤون العلمية للمركز سعادة الأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الهادي الشيباني الذي يرجع له الفضل- بعد الله عز وجل- في ربط جسر التواصل مع هذا المركز العتيد في طَيْبة الطيبة، دون أن أنسى باقي موظفي المركز كل باسمه وصفته.

كما أدين بالتقدير لكل من أسهم من قريب أوبعيد ، وقدم يد العون لإنجاز هذا العمل .

وأضرع إلى الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقني سبحانه وتعالى لإنجاز مزيد من الأبحاث النافعة خدمة للعلم وطلابه .

والله ولي التوفيق

مُبارك لَمِين بن الحسن
جامعة ابن زُهر / المغرب

الرموز

المكتبات

م. و. : المكتبة الوطنية بالرباط.

خ. أ. : الخزانة الأزاريفية بإقليم تيزنيت، جهة سوس ماسة .

المجلات

- **بالعربية :**

م. م. م. د. إ. م. : مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد.

- **بغير العربية :**

R.I.E.E.I.M. :	Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid.
R.O.M.M. :	Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée.
S. I. :	Studia Islamica.
A. A. :	Al-Andalus.
A.Q. :	Al-Quantara.

تقديم

مـن محاسن الإسلام العظيمة دعوته للاجتماع ونبـذ التفرق، وكل أركان الإسلام تقـوم على التواصل والاجتماع، فأداء الصـلاة جماعة في المسجد خمس مرات في اليوم نحو الكعبة المشرفة، وإخراج الزكاة تواصل بين أغنياء المسلمين وفقرائهم، وبعد انقضاء شهـر الصوم يحتفـل المسلمون كبارا وصغارا صـلاة العيد جماعة والتـزاور والتواصل بينهـم، وفي الحـج فرض الله علـى القادرين مـن المسلمين أداء هـذه الفريضة في مكة فيجتمـع المسلمون من شتى أصقـاع الأرض بشتى أجناسهـم وألوانهم وتعدد لغاتهم في مكة يؤدون عبادة واحدة.

ولطالمـا اقترن الحج والوصـول إلى الأماكن المقدسة بالمشاعـر الفياضة والأشواق الحارة والترقب والتلهف لتأدية هذه الشعيرة العظيمة والركن الخامس من الإسلام، كما ارتبـط الحج والوصول إلى الحجاز بزيـارة المدينة المنورة للصلاة في مسجد المصطفى صلـى الله عليه وسلم، والسلام عليه، وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما، وامتاع النظر برؤية معالم المدينة التي ذكرت في القرآن الكريم، والسنة، والسيرة النبوية.

لقـد كان العلمـاء أحرص الناس علـى الحج وذلك لسببـين: الأول: استشعار الأمر الإلهـي بالحج إلى مكة في حالة الاستطاعة والقدرة، وأمـا السبب الثاني: فهو الحرص على العلم أداء أو تحصيلاً، فيقوم العالم بالتدريس في جميع المناطق التي يمر بها، واذا وصل إلى مكـة والمدينة يستأنف التدريس في المسجد الحـرام والمسجد النبوي، ولرغبة كثـير مـن العلماء في الأجر والاستزادة من الصـلاة في المسجدين ومتابعة العمرة يقوم بالمجـاورة في مكة والمدينة اما لأشهر، وبعضهم لسنة، أو عدة سنوات، وخلال هذه المدة يواصلون نشاطهم التعليمي، ويلتقون بالعلماء من شتى أنحاء دول المسلمين.

تعد الأندلس من أهم بلـدان المسلمين التي اشتهرت بالعلم والعلماء اللذين تحملوا مشـاق السفر والتجـوال، وعناء الظعن والترحـال، فحرصوا على الرحلـة نحو المشرق الإسلامـي للاستفادة من علمائه وخاصـة في الحرمين الشريفين، ونقلوا العلوم والكتب إلى بلادهم خلال القرون الهجرية الأولى، وقد توزعت اهتماماتهم العلمية في مجالات شتى من أهمها الفقه، والحديث، وعلوم اللسان.

وكان لرحـالات الأندلسيـين إلى المشرق أثرها الفعال في نضـج الشخصية العلمية الأندلسيـة وقدرة علمائها على العطاء والمرجعيـة في فنون العلم، وإدخال كتب المشارقة إلى الأندلس مثل: يحي بن يحي الليثي (ت٢٣٤هـ) الذي رسخ المذهب المالكي في الأندلس بعـد أن رحـل إلى المشرق وأخذ عـن الإمام مالك وعدد من علماء المشـرق فانتهت إليه الإمامـة والمنزلة الرفيعة في الأندلس في عصـره، وبقِيّ بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦هـ) الـذي أدخـل كتاب مسند أبي بكر بـن أبي شيبة، وابن الأحمـر (ت٣٥٨هـ) الذي أدخل سنن النسائي للأندلس بعد رحلته إلى المشرق وعودته سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وفي مجال اللغة والأدب تم ادخال كتب اللغة والأدب على يد علماء الأندلس، فكتاب الكسائـي (ت١٨٩هـ) نقله إلى الأندلس جودي بن عثمان مـن أهل مورور (ت١٩٨هـ)، وكتـاب «العـين» للخليل بـن أحمد الفراهيـدي أدخله ثابت بـن عبد العزيـز الأندلسي (ت٣١٣هـ) وولده القاسـم (ت ٣٠٩هـ) بعد رحلتهما إلى المشـرق، كما أدخل كتب أبي عبيـد إلى الأندلس وهب بن نافع القرطبـي (ت٢٧٣هـ)، وحج محمد بن عمر القرطبي (ت٤١٧هـ) وجاور بالمدينة المنورة وأفتى بها، وكان يفتخر بذلك بين أصحابه.

ولم تقتصـر رحلـة الأندلسيـين العلميـة إلى المشـرق في هـذه الفنون، بـل شملت الاستزادة من علم الطب مثل عمر وأحمد ابني يوسف الحراني اللذان رحلا إلى المشرق ومكثـا عشر سنوات لتعلم الطب وعادا للأندلس عـام ٣٥١هـ، برز كذلك في علم الفلك والحساب: محمد بن عبدون الجلي القرطبي بعد رحلته إلى المشرق عام ٣٤٧هـ.

لقـد قوي بذلك الاتصال غرب العالم الإسلامـي بمشرقه، وتفتق الذهن الأندلسي عـن الابـداع في مجالات العلوم المختلفـة، وكان رُقي المجتمع الأندلسـي وحضارته منبع إلهام لقارة أوروبا وأخذها بفنون العلم في شتى مجالات المعرفة.

وفي هـذا السيـاق تبرز هـذه الدراسة الجادة لسعادة: أ.د. مبـارك لمين في الرحلة العلميـة الأندلسية إلى المشرق في القـرن الخامس الهجري لتغطي جانبا مهما في تاريخ العلـم والعلماء عند المسلمـين، كما ترصد حركة التعليم والنشـاط العلمي في الأندلس، والمشـرق الإسلامي، ومـدى النضج الحضـاري للمجتمعات الإسلاميـة في تلك الفترة المبكرة مقارنة بالمجتمعات الأخرى التي تعاني من الجهل والتخلف.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقدمة

تعتبر ظاهرة الرحلة العلمية إلى المشرق إحدى السمات الأساسية التي ميزت الحياة العلمية والتعليمية بالأندلس، ومن الخصائص البارزة التي لازمت عالَم علماء الأندلس في معظم القرون التي عمرها الإسلام بشبه جزيرة إيبريا. وقد أولت المصادر خاصة كتب التراجم والسير- هذا الجانب عناية ملحوظة حدها الأدنى الإشارة إلى رحلة المترجَم له بدون تفصيل أو استطراد.

وأسهمت هذه الرحلة، خلال القرن الهجري الخامس، في الرصيد التكويني للعديد من الطاقات العلمية الأندلسية البارزة، الراحلة منها وغير الراحلة إلى المشرق. وفضلا عن هذا، فإن الرحلة في اتجاهها من الأندلس إلى المشرق شكلت إحدى القنوات الفاعلة في مجال التأثير والتأثر العلميين بين ذينك الطرفين من العالم الإسلامي.

وينضاف إلى ما سبق، أن هذه الرحلة تعتبر أحد المؤشرات لرصد الواقعين العلمي والتعليمي بالأندلس؛ فعبر تيار الرحلة يمكن الوقوف على جوانب عديدة من هذا الواقع المتأثر بالتحولات الهامة التي عرفتها أندلس المدة موضوع الدراسة.

ولئن اكتسى موضوع الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق هذه الأهمية خلال الفترة موضوع الدراسة، فإنه لم يحظ فيما يبدو باهتمام الدارسين؛ فقد اتجهت عناية بعضهم نحو مرحلة ما قبل القرن الهجري الخامس، وخاصة عصرَي الإمارة والخلافة، مع إلحاحهم على خاصية التأثير العلمي المشرقي على الأندلس.[1]

(١) تبرز في هذا الإطار أطروحة محمود علي مكي التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة مدريد سنة ١٩٥٥ تحت عنوان:
Ensayo sobre las aportaciones orientales en la España musulmana, y su influencia en la formación de la cultura hispano-arabe.

وكذا أطروحة:
Michael K. Lenker, The importance of the Rihla for the Islamization of Spain, unpublished, Ph. D. Dissertation, University of Pennsylvania, 1982.

أمـا اهتمام البعض الآخر، فقد انصب علـى الرحلة الأندلسيـة المغربية بمختلف أنواعهـا خـلال مرحلة ما بعد القـرن الهجري الخامس، التي عرفـت تدوينا ملحوظا للرحلة إلى المشرق، توافر معه للدارسين مجال خصب للاشتغال تحقيقا[١] ودراسة[٢].

وكان لتركيز الاهتمام على مرحلتي ما قبل القرن الهجري الخامس وما بعده، أثره في بقـاء هذا القرن حلقة شبه مفقودة في تاريخ الرحلـة العلمية الأندلسية إلى المشرق؛ فالدراسات التي تم الوقوف عليها لا تسمو عن الملامسة الخاطفة لبعض جوانب الموضوع في إطـار الحديـث عن القضايا التـي تناولتها. ولتعدد الدراسات في هـذا الإطار، فإننا نسوق بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر.

أولا: دراسات عربية

- "الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف":

خصص سعد البُشرى قسما من أطروحته الجامعية للحديث عن العلاقة العلمية بين

وتقـدم جعفر حسن صادق برسالة لنيل الماجستير من جامعة الموصـل في موضوع: "الرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق في عصر الإمارة".

Taha, A.D.: Importance des voyages scientifiques entre l›Orient et l›Andalus, R.O.M.M., Al-Andalus, N°40, 2ème semestre, Aix-en-Provence, 1985, p. 44.

(١) انصبت جهود المحققين في هذا الإطار، على رحلات كل من ابن جبير ت.٦١٤هـ/١٢١٧م، وابن رشيد السبتي ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وابن سعيد المغربي ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، والعبـدري ت. ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، والتجيبي ت. ٦٩٦هـ/١٢٩٧م، وغيرهم.

(٢) اتجهت عناية بعض الدارسين الفرنسيين والإسبانيين والإنجليز –على سبيل المثال– نحو دراسة رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ينظر في هذا الإطار:

Index islamicus 19811985-, Complited and edited by G. I. Roper, Mansell, London, 1991, V. 1, p.p. 301302- Travel.

وركزت أريي راشيل في دراسة لها على رحلات أبي حامد الغرناطي وابن جبير وابن بطوطة والعبدري والبلوي.

A. Rachel, Viajeros de Occidente a Oriente in Al-Andalus y el Mediterráneo, Barcelona, 1995, p. p. 185-193.

كما خصص Marin Manuela دراسة بعنوان:

El viaje a oriente de Abu Murwan al-Bayi m. 6351237/, in: Estudios onomástico-biográficos de al-Andalus, Consejo superior de investigaciones cientificas, Madrid, 19881995-, V. I, p.p. 273304-.

وخصص محمد بنشريفة للشخصية ذاتها دراسة تحت عنوان: "أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق ٥٦٤-٦٣٥هـ"، كتاب دعوة الحق، عدد ٥، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

المشارقــة والأندلسيين[١]، مكتفيا بإيراد بضعة أسماء للراحلين خلال مرحلة الطوائف، إضافة إلى إصداره حكما بتراجع تيار الرحلة إلى المشرق، وانكفاء الأندلسيين على بناء شخصيتهــم العلميــة. غير أن الدارس لم يحلــل بما فيه الكفاية ظاهــرة التراجع تلك، فلم يوظف أنواعا أخرى من المصادر –غير مصنفات التراجم والسير– مفيدة في هذا الإطار.

- "حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري":

تحدث خالد الصمدي في رسالته عن الرحلة لطلب الحديث بقرطبة، ومنها الرحلة إلى المشــرق، إلا أنــه اكتفى بذكــر بضعة أسمــاء لراحلي قرطبة أو الذيــن عبروها إلى المشرق[٢]، مشيرا إلى بعض مراكز الحديث المشرقية، التي شكلت مُرْتحل الأندلسيين[٣].

- "الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق":

تنــاول حــازم خضر في مقاله جوانب مختلفة من الرحلــة العلمية الأندلسية إلى المشــرق على مدار تاريخ الأندلس، وخــلال طرقه لخط سير هذه الرحلة، لَمَّح للمحطات العلمية التي ارتـــادها كل من أبي الوليد البــاجي، وأبي علي الصـــــدفي، باعتبارهما مــن راحلــي القرن الهجري الخامس[٤]، وتبقى هذه اللمحــة قاصرة عن إبراز الملامح العامة لتوزيع الأندلسيين عبر محطات المشرق العلمية.

- "العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي":

استعرض حسين أمين في مقاله الصلات الثقافية بين الأندلس وبغداد طيلة العصر العباســي، ولم يكن نصيب القرن الهجــري الخامس في تلك العلاقات سوى شخصيتين

(١) سعد عبد الله البشرى، "الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس: ٤٢٢-٤٨٨هـ/١٠٣٠-١٠٩٥م"، ط. ١، مركز الملك فيصل للبحــوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، صفحات. ١٦٩-١٧٤.

(٢) خالــد الصمدي، "حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامــس الهجري: أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب نموذجا"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، صفحات. ٨٧-٩١.

(٣) حركة الحديث بقرطبة ، صفحات. ١٠٢-١٠٦.

(٤) حــازم خضــر: "الرحلات العلميــة من الأندلــس إلى المشرق"، مجلــة الجامعة، ســن. ١٠، ع. ١، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٩، ص. ٢٢.

أندلسيتين هما: الحميدي، وابن العربي. واتسم تناوله للنشاط العلمي للشخصيتين في بغداد بالمحدودية في هذا المقال[١].

- "الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري":

عالج علي أحمد في قسم من دراسته العوامل المساعدة على استقطاب بلاد الشام للأندلسيين، فمزج فيها بين ما له علاقة بالقرن الهجري الخامس وما بعده[٢]، وقد جاءت تغطيته للوجود الأندلسي بالشام خلال أواخر القرن الهجري الخامس باهتة أمام طغيان مرحلة ما بعد هذا القرن من جهة، وبفعل مزجه بين المغاربة والأندلسيين في دراسته من جهة أخرى.

- "الكتب المشرقية في الأندلس رواية وشرحا من النشأة إلى القرن السابع الهجري"

حاول محمد زبير في رسالته الجامعية رصد حركة نقل المرويات من المشرق إلى الأندلس، وخلص إلى أن تلك الحركة بلغت أوجها خلال القرنين الهجريين الرابع والخامس[٣]، وساق مجموعة أسماء أندلسية ومشرقية؛ أسهمت في حركة الرواية خلال القرن الهجري الخامس[٤]، كما أورد عناوين لمروياتها في اللغة والنحو والأدب والحديث[٥].

ويمكن إبداء ملاحظة أساسية حول عمل الباحث، وتتمثل في قصر عمله على تخصصات معينة، دون أن يوسع مجال دراسته ليشمل تخصصات أخرى كالتاريخ والزهد والتصوف وعلوم الأوائل.

(١) حسين أمين: "العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي"، المناهل، س. ٣٣، ع. ١٢، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، ١٤١٦هـ/١٩٨٥م، صفحات. ١٢٢-١٢٤.

(٢) علي أحمد: "الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري"، ط. ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨، صفحات. ٨٤-١١٦.

(٣) "الكتب المشرقية في الأندلس رواية وشرحا من النشأة إلى القرن السابع الهجري"، رسالة دبلوم الدراسات العليا مرقونة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج. ٢، ص. ٣٨٠.

(٤) المرجع نفسه، ج. ١، صفحات. ٨٦-٩٩.

(٥) المرجع نفسه، ج. ١، صفحات. ٢١٧-٢٢٢، ثم ص. ٢٥٩ وما بعدها.

- "الصلات الثقافية بين المغرب والإسكندرية" :

تناول جمال الدين الشيال في مقاله أهمية الإسكندرية باعتبارها ثغرا منذ الفتح الإسلامي، ومحطة للأندلسيين الراحلين إلى المشرق خلال القرنين الهجريين الخامس والسادس، مركزا على شخصية الطرطوشي[١] باعتباره أحد الأندلسيين المقيمين بهذا الثغر.

وهناك صنف آخر من الدراسات لمحت للرحلة العلمية الأندلسية، وذلك عند تناولها إحدى الشخصيات الأندلسية الراحلة إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس؛ وعالجت جوانب من حياتها، ومنها جانب رحلتها العلمية إلى المشرق[٢]، أو تناول رحلتها في إطار التقديم لتحقيق إنتاجها التصنيفي[٣]. غير أن مثل هذه اللمحات –رغم أهميتها– تبقى بعيدة عن تقديم صورة متكاملة عن الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال المدة موضوع الدراسة.

ثانيا : دراسات غير العربية

- Scholars and Travellers: The Social History of Early Muslim Egypt, 218-487/833-1094

خصص جلينس سام إسحاق Gellens Sam ISAAC الفصل الثاني من أطروحته الجامعية لتقييم أهمية مصر باعتبارها مركزا للعلم في العصر الوسيط، مركزا في هذا الإطار على علاقة العلماء الأندلسيين بمصر[٤]، وخلص إلى أن مصر شكلت مركزا فعالا للعلم بالنسبة للمسلمين الإسبان، كما أنها همزة وصل بين الأندلس والمشرق[٥].

(١) "الصلات الثقافية..."، دعوة الحق، ع. ١، س. ٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، صفحات. ٤٧-٥٠.

(٢) نذكر على سبيل المثال دراسة سعيد أعراب الموسومة بـ: "مع القاضي أبي بكر بن العربي"، ط. ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، صفحات. ١٣-٧١.

(٣) الدراسات في هذا الإطار متعددة، ومنها تقديم إبراهيم الأبياري لمعجم أبي علي الصدفي، وجذوة المقتبس للحميدي، وتقديم عبد المجيد تركي لمؤلف الطرطوشي "الحوادث والبدع"، وغيرها.

(4) Schollars and travellers..., Unpublished Ph. D. Thesis, Columbia University, 1986, p.p. 40 -56.

(5) Ibid., p. 50.

غـير أن الباحث عمم حكمه هـذا على فترة طويلة تمتد مـن مطلع القرن الهجري الثالـث/ الميلادي الثامن إلى نهاية القرن الهجـري الخامس / الميلادي الحادي عشر، مما يستدعي استقراء تراجم راحلي أندلس القرن الهجري الخامس للوقوف على مدى مطابقة هذا الحكم لمدتنا موضوع الدراسة، كما أن عدم تنويع المادة المصدرية حال دون وقوف الباحث على الواقع العلمي لمصر الذي لم يرتاح له بعض أندلسيي القرن الهجري الخامس[١].

- The Social Role of Scholars ‹Ulamā in Islamic Spain: A Study of Medieval Biographical Dictionaries Trājim

تطـرق عبـد الغفور روزي في قسم من أطروحته الجامعيـة إلى تيار الرحلة العلمية الأندلسيـة إلى المشـرق، مـبرزا أن منحاه عرف تصاعـدا حتى نهاية القـرن الهجري الرابـع، ليسجـل تراجعا بعد ذلك، معلـلا ذلك بكون المشرق أصبـح مركزا ثقافيا غير مهـم[٢]، غير أن عدم تنويـع المادة المصدرية، والتركيز على أعمـال ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الزبير يجعلان هذا التعليل ناقصا لتفسير تراجع تيار الرحلة العلمية إلى المشرق.

- The Cultural Relations between Alexandria and the Islamic West...

تطرق جمـال الدين الشيال للعلاقات الثقافية بـين الإسكندرية والغرب الإسلامي الأندلـس والمغرب، مختزلا تلك العلاقات مع أندلـس القرن الهجري الخامس في إقامة الطرطوشي بالإسكندرية، بعد أن تطرق لرحلته العلمية عبر مراكز المشرق المختلفة[٣]، كما أن تناوله للدور العلمي لهذه الشخصية بالإسكندرية شبه منعدم.

- -Le monde des Ulémas Andalous du V/XI^{e} au VII/XIII^{e} siècle

خصصـ دومنيـك أورفوا D. Urvoy جـزءا من دراسته حول عالَم علمـاء الأندلس،

(١) تنظر ص. ١٧٦ وما بعدها من هذا الكتاب.

(2) The social role..., Unpublished Ph. D. Dissertation, Boston, University, 1983, p.p. 387389-.

(3) The Cultural Relations..., R.I.E.E.I.M., Vol. XVI, Madrid, 1971, p.63.

للرصد الكمي لتيار الرحلة العلمية الأندلسية نحو المشرق وإفريقية[1]، وبين الأندلس والبلاد الإسلامية[2]. غير أن تغطية الباحث لهذه النقطة تدعو إلى إبداء ثلاث ملاحظات أساسية وهي:

- اقتصاره على مصدرين اثنين هما "صلة" ابن بشكوال، و"تكملة" ابن الأبار.
- اعتماده سني الوفاة بدل سني الرحلة في رصد حركة الرحلة، مما جعل القرن الهجري الخامس في تداخل زمني مع القرنين السابق واللاحق.
- عدم تحديد المراكز العلمية المشرقية التي شكلت وجهة الأندلسيين.

تأسيسا على ما سبق، يتضح أن الدراسات التي تناولت جوانب من الموضوع تسجل قصورا يمكن إجمالها في ثلاث نقاط:

أولها: اعتمادها مصادر محدودة دون استغلالها للمصادر المتوافرة استغلالا مناسبا.
ثانيتها: تعميم الحقبة التاريخية المدروسة مع عدم التركيز على القرن الهجري الخامس.
ثالثتها: تناولها الناقص لجوانب من الموضوع.

وفي ضوء هذه المعطيات، فإن تخصيص دراسة للرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس، والتعامل مع الموضوع بمنهج علمي، أصبحا أمرين ملحين، والدراسة التي نقوم بها اليوم إسهام متواضع لإماطة اللثام عن مختلف زوايا هذا الموضوع. فما هي الإمكانات التي تتيحها المادة المصدرية في هذا الإطار؟

تسجل المادة المصدرية حول الموضوع صعوبات يمكن اختزالها في نقطتين أساستين، هما:

١. فقدان مصادر أساسية ذات الصلة الوثيقة بالرحلة العلمية، وتتفاوت نوعيتها ما بين رحلات مدونة مثل "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" لأبي بكر بن

(1) Le monde des Ulémas Andalous...., Centre national de la recherche scientifique, Genève, 1978, p. 32.

(2) Ibid., p. 81.

العربي، إضافة إلى برامج الشيوخ كبرنامج أبي بكر بن العربي، وبرنامج سعد الخير الأنصاري، فضلا عن مؤلفات في التراجم[1].

٢. شح المعطيات التي تقدمها كتب التراجم والسير، ويتخذ هذا الخصاص مستويات عديدة، أعلاها أن لا نعثر في الترجمة إلا على إشارة يتيمة عن الرحلة في اتجاه المشرق -نحو: "ورحل إلى المشرق"، أو "وله رحلة إلى المشرق"- غُفْل من أي معطيات إضافية، وأدناها أن تتخلل الترجمة فراغات في جوانب مختلفة كغياب السنوات ذات الصلة بالرحلة أو الميلاد أو الوفاة، أو المحطات العلمية بالمشرق، أو شيوخ العلم وغير ذلك.

ورغم هذه السلبيات، فقد توافرت لموضوع الدراسة مادة مصدرية مقبولة لبناء مختلف جوانبه، فقد تم الاعتماد على جملة من المصادر الأساسية، متباينة من حيث توزيعها الجغرافي، ومتنوعة من حيث أنماطها.

فعلى مستوى التوزيع الجغرافي، يمكن التمييز بين مصادر أندلسية-مغربية من جهة، ومصادر مشرقية من جهة أخرى. تعتبر المجموعة الأولى ذات الأهمية القصوى في بناء معظم أقسام الدراسة، بينما تتجلى مكانة المجموعة الثانية من المصادر في إسهامها الهام في تكميل أو مطابقة، وأحيانا معارضة المعطيات الواردة في المصادر الأندلسية.

فمن حيث تكميل المعطيات، عديدة هي المساحات الفارغة، وكثيرة هي النقاط المسكوت عنها في المصادر الأندلسية، ليأتي المصدر المشرقي مغطيا إياها، كاشفا اللثام عنها. فأحيانا نفقد خيط رحلة الأندلسي نحو المشرق بمجرد ما يلفظه بر الأندلس، لنجد المصدر المشرقي يتلقفه، محتضنا إياه، ومتتبعا لتنقلاته عبر المحطات العلمية

(١) ذكر ابن عبد الملك -على سبيل المثال- أن لمحمد بن عبد الله التجيبي ت. ٥٥٨هـ/١١٦٣م كتابا جمعه في علماء الأندلس وصل به "صلة" ابن بشكوال، غير أنه لم يقف عليه. "الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة"، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، س.٦، ص. ٢٨١.

بالمشـرق، ومسجـلا إنجازاته العلميـة هنـاك؛ فالتجربـة العلميـة الأندلسية في مجال الميكانيكا بمصر لم نقف عليها إلا في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعـة، كما أن العطاء في مجال التدريس لأحد الأندلسيين ببلاد الزنج، لم يسعفنا به سوى مصدر مشرقي وهو "معجم البلدان" للحموي، بل إن بعض أسماء أعلام الرحلة العلميـة الأندلسية إلى المشرق مفتقدة في المصـادر الأندلسية المعتمدة، لنعثر عليها في مصـادر مشرقية مثل "معجم السِّفـر" للسّلفي، أو في "طبقـات الشـافعيـة" لابـن السبكـي أو في "معـرفة القـراء الكـبار" للذهبي، أو في "معجم الأدباء" للحموي.

أما من حيث مطابقة المعطيات، فكثيرا ما يوافق المصدر الأندلسي نظيره المشرقي في جوانـب تتعلـق برحلة الأندلسيين إلى المشرق، ولا غـرو، فقد استندت بعض المصادر المشرقيـة في ترجمتهـا للأندلسيين على المصادر الأندلسيـة، فالذهبي في "سير أعلام النبـلاء" وفي "معرفة القراء الكبار" كثيرا ما يحيل علـى "صلة" ابن بشكوال، أما ابن أبي أصيبعة في "طبقات الأطباء" فقد جعل معتمده "طبقات الأمم" لصاعد الطليطلي، بينما اتجهت اقتباسات ابن عساكر في "تاريخ دمشق" نحو "جذوة المقتبس" للحميدي.

ومثـل هذا كفيل بخلق التطابق بين المصدرين المشرقي والأندلسي، غير أن ذلك لم يحل دون تسجيل نقاط الاختلاف بينهما حول بعض القضايا.

فمن حيث التعارض بين معطيات المصدرين، نذكر على سبيل المثال، أن ابن الأثير في "الكامل" ذكر أن المغاربة كانوا يحيدون عن مصر الفاطمية أيام وزارة بدر الجمالي بسبب الخلافات المذهبية وبطشه بالمغاربة، في حين تؤكد المعطيات الإحصائية المستقاة من المصادر الأندلسية، أن مصر شكلت وجهة العديد من الأندلسيين باعتبارها محطة عبـور نحو باقـي المشرق، أو محطـة علمية للاستفـادة والإفادة خلال فـترة حكم هذا الوزير.

وهكذا، فإن التكامل والتطابق وأحيانا التعارض بين معطيات المصادر الأندلسية من جهـة، ومعطيات المصادر المشرقية من جهة أخرى، يسمـح بتمحيص المادة المصدرية، والتصدي لمختلف جوانب الدراسة بموضوعية أكثر.

أما على مستوى أنماط المصادر، فيمكن تصنيفها إلى الأقسام الآتية:

١-كتب التراجم والسير

أفادت كتب التراجم والسير من خلال عملية الجرد والاستكشاف لمحتواها، في بناء لائحة الأندلسيين الراحلين إلى المشرق من حيث الأسماء المشاركة، وتواريخ ميلادها ورحلتها ووفاتها، وانتماؤها الجغرافي، وتخصصها العلمي، ومحطاتها العلمية بالمشرق، وهذه المعطيات شكلت مرجعية الجداول الإحصائية التي انبنت عليها جوانب عديدة من الدراسة. كما أفادت كتب التراجم والسير في تغطية جوانب أخرى من الدراسة كاستفادة الأندلسي وإفادته بالمشرق. ويتفاوت إسهام هذا الصنف من المصادر في بناء الجوانب السابقة من الدراسة كما يلي:

أ-كتاب "الصلة" لابن بشكوال ٤٩٤هـ/١١٠١م-٥٧٨هـ/١١٨٣م

يكتسي إسهام "الصلة" أهمية قصوى من عدة جوانب:

-أن ابن بشكوال ضرب بمؤلفه الرقم القياسي بين بقية المصادر المعتمدة في رصده لحركة الترحال الأندلسية نحو المشرق خلال القرن الهجري الخامس، فمن مجموع عدد الأسماء المستخلصة والبالغ عددها أربعة عشرة ومائتين ٢١٤، أسهمت "الصلة" بستة وثلاثين ومائة اسم ١٣٦.

-أن ابن بشكوال قريب العهد من القرن الهجري الخامس، بل إنه أدرك بعضا من راحلي هذا القرن إلى المشرق، ومنهم أبو علي الصدفي ت. ٥١٤هـ/١١٢٠م، وأبو بكر بن العربي ت. ٥٤٣هـ/١١٤٩م، مما يعضد من مصداقية تأريخه للرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال المدة موضوع الدراسة.

ورغم الأهمية التي يسجلها إسهام "الصلة"، إلا أن ذلك لم يحل دون تسجيل بعض القصورات على ابن بشكوال والمتمثلة في ملاحظتين وهما:

- الأولى: إغفال "الصلة" لعدة راحلين أندلسيين لهم نصيبهم من الشهرة العلمية، ولعل المقري يشفع لابن بشكوال في ذلك، فحصر أهل الارتحال إلى المشرق "لا

يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علاّم الغيوب الشديد المحال"[١].

غير أن هذه الشفاعة لا تجدي عندما يصل الأمر إلى حد إغفال صاحب "الصلة" لبعض شيوخه من الراحلين الذين حدَّث عنهم، كمساعد بن أحمد بن مساعد الأصبحي المعروف بابن زعوقة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م-٥٤٥هـ/١١٥١م، الذي رحل إلى المشرق سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، وهو ما نبه إليه المقري نفسه[٢]، والملاحظة ذاتها يسجلها كل من ابن الأبار[٣] وابن عبد الملك[٤] على ابن بشكوال في شأن شيخه أحمد بن عبد الله القونكي ت. ٥١٨هـ/١١٢٤م، وهو أيضا من راحلي القرن الهجري الخامس إلى المشرق.

- الثانية: أن ابن بشكوال لم يدرج في "صلته" ذوي التخصص في علوم الأوائل كالعدد والهندسة والنجوم، حتى إن أورفوا دومنيك[٥] Urvoy Dominique لم يحصل في دراسته الإحصائية "للصلة" إلا على أرقام هزيلة للمتخصصين في الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية. وقد يجد ابن بشكوال عذره في المنهج الذي حدده لنفسه، وذلك بحصر مؤلَّفه على الأئمة والعلماء والمحدثين والفقهاء والأدباء كما يبرز ذلك عنوان "الصلة".

غير أن هذا العذر يتهاوى إذا استحضرنا ظاهرة الموسوعية التي ميزت العالم المسلم خلال الفترة الوسيطية؛ فعبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر –الراحل إلى المشرق- إلى جانب تخصصه في الطب كان "فقيها حافظا"[٦]، كما أن أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت –الراحل إلى مصر- إلى جانب تخصصه في فروع من علوم

(١) أبو العباس أحمد المقري، "نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط. ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج. ٢، ص. ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج. ٣، ص. ٣٩٨.

(٣) أبو عبد الله محمد بن الأبار، "التكملة لكتاب الصلة"، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط. ١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص. ٥٤.

(٤) الذيل والتكملة، س. ١، ق. ١، ص. ١٩١.

(5) Le monde des Ulémas Andalous, p. 38.

(٦) الذيل والتكملة، س. ٥، ق. ١، ص. ٣٧.

الأوائل، كانت له مشاركة في الأدب والنحو، مما حدا بالحموي[1] إلى إدراجه ضمن أدباء معجمه.

إن هذه الهنات المسجلة على "الصلة" –على أهمية هذا المصدر وصدارته في الدراسة– تجعل الالتفات إلى مصادر أخرى في التراجم والسير أمرا ملحا وضروريا.

ب-مصادر تكميلية في التراجم والسير

تتفاوت أهمية هذه المصادر من حيث نوعيتها ومن حيث إسهامها في تكميل المعطيات الإحصائية "للصلة"، وكذا جوانب أخرى من الدراسة.

فعلى مستوى النوعية، ففضلا عن كتب الصلات والتكملات المنشغلة بذوي التخصص في العلوم الشرعية أساسا، واللسانية إلى حد ما، تَم الالتفات إلى كتب تراجم وسير متخصصة إما بالأدباء أو القراء أو النحاة أو الأطباء، أو بأرباب العلوم التجريبية عموما، أو بذوي الانتماء المذهبي كالمالكية والشافعية.

أما على مستوى الإسهام في استكمال معطيات الدراسة، فسيتم التركيز على المصادر ذات الأهمية في هذا الإطار، وهي:

- "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار ٥٩٥هـ/١١٩٩م-٦٥٨هـ/١٢٦٠م:

لئن اقتفى ابن الأبار منهج سلفه ابن بشكوال في سرد التراجم وفي التركيز على ذوي التخصص في العلوم الشرعية أساسا، إلا أنه استدرك على صاحب "الصلة" العديد من الأسماء الأندلسية التي شاركت في الرحلة العلمية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس.

- "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشي ٦٣٤هـ/١٢٣٧م-٧٠٣هـ/١٣٠٤م:

(١) أبو عبد الله ياقوت الحموي، "معجم الأدباء؛ أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ط. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج. ٢، رقم. ٢٦٠.

فضلا عن استدراكه على سابقيْه عدة أسماء ممن سجلت لهم الرحلة إلى المشرق، فإن "ذيل وتكملة" ابن عبد الملك أعادت كتابة تراجم موجودة عند سابقيه، حيث تصدت لها بإضافة جديد، أو زيادة فائدة، أو التنبيه على وهم، مما جعل تراجمه طويلة النفس من حيث المادة الغزيرة مقارنة مع تراجم سابقيه من المصنفين الأندلسيين.

وما كان "الذيل والتكملة" ليفضل بهذه الميزة على كتب التراجم الأندلسية السابقة لولا وقوف ابن عبد الملك واعتماده عدة مصادر أهمها "برامج" العلماء و"فهارس" الشيوخ التي يعتبر بعضها حاليا في عداد المفقود، كـ"برنامج" سعد الخير الأنصاري[1]، وهو من المشاركين في الرحلة العلمية إلى المشرق.

- "طبقات الأمم" لصاعد الطليطلي ت. ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م:

يعتبر هذا المصدر من أهم المصنفات في علوم الأوائل كالرياضيات والطب والفلك والمنطق والفلسفة. وقد خصص صاعد قسما من مؤلَّفه للحديث عن إسهامات الأندلسيين في هذا المجال، ونقف فيه على أسماء أندلسية لها مشاركة في الرحلة العلمية إلى المشرق.وتتضح أهمية الكتاب من عدة جوانب؛ أولها: تغطيته الفراغ الذي سجلته معظم كتب التراجم الأندلسية في مجال التأريخ لعلوم الأوائل، وثانيها: التقاء صاعد ببعض من ترجم لهم من أعلام وأخذه عنهم، وثالثها: اعتباره مصدرا لمصادر أخرى متخصصة في علوم الأوائل.

ورغم القيمة التي يكتسيها هذا المصدر في مجاله التخصصي، إلا أن صاعدا لم يحط بكل الراحلين الأندلسيين في حقل العلوم القديمة، مما فسح المجال لاستدراكات الآخرين من بعده.

- "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أُصَيْبِعة ت. ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م:

يعتبر هذا المصنف موسوعة حافلة بأطباء العالم منذ عصر اليونان وحتى عصر المؤلف. وقد أفرد ابن أبي أصيبعة جزءا خاصا بالأندلس، تعرض فيه للنابغين الأندلسيين في الطب، ومنهم من سجلت له رحلة علمية إلى المشرق.

(١) الذيل والتكملة، س. ٤، ص. ١٧.

ورغـم اعتماد المصنِّـف على ما كتب صاعد الطليطلي، إلا أن ابـن أبي أصيبعـــة أمــدنــا بأسماء ومعلومات هامة عـن الرحلة العلمية الأندلسيــة إلى المشرق لم يتطرق إليها صاعد؛ ومن ذلك الإفادة الأندلسية بالمشرق في مجال علم الحيل الميكانيكا.

- "سير أعلام النبلاء" للإمام شمس الدين الذهبي ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٧م:

تضمن تراجم لمختلف الأعلام موزعة على شكل طبقات، منها تراجم لشيوخ العلم المشارقة خلال القرن الهجـري الخامس، الذين تمت على أيديهم الاستفادة الأندلسية بالمشــرق، إضافة إلى تراجم الأندلسيين الراحلين إلى المشرق خلال القرن نفسه، ولئن شكلـت "صلة" ابن بشكوال عمدة الذهبي في التراجم الأندلسية، إلا أنه اعتمد مصادر أخرى أغنت ما كتبه عن الأندلسيين بمعلومات قيمة.

وقـد أفـادت معطيات هـذا المصنَّـف جوانب مختلفة مـن البحـث، وخاصة محور الاستفادة الأندلسية بالمشرق.

٢- الفهارس

يكتسي هذا النوع من المصادر أهميته في تغطية جانب هام من الاستفادة الأندلسية بالمشــرق، ويتعلـق الأمر برواية الكتب المشرقية ونقلهـا إلى الأندلس على يد الأندلسيين الراحلـين إلى المشرق، وفيما يخص القرن الهجري الخامس، ثمة عدة فهارس أسهمت في تغطية هذا الجانب، وأبرزها:

- "فهرسـة مـا رواه عـن شيوخه مـن الدواوين المصنفـة في ضروب العلـم وأنواع المعارف" لابن خير الإشبيلي ت. ٥٧٥هـ/١١٧٩م.

تتجلـى أهميـة هذه "الفهرسة" في كـون مؤلِّفها أدرك بعضا مـن العلماء الراحلين خـلال القرن الهجـري الخامس إلى المشرق وأخذ عنهـم، كما سجل ابـن خير الرقم القياسي بين المصادر المعتمدة في رصد حركة رواية الكتب المشرقية ونقلها إلى الأندلس خـلال المدة موضوع الدراسة، حيث نقف على طـرق نقل المرويات، ومتى ومن نقلها إلى الأندلس، وأسمائها بحسب تصنيف العلوم.

- "فهرس ابن عطية" لعبد الحق ابن عطية المحاربي ت. ٥٤١هـ/١١٤٦م:

ضمن ابن عطية فهرسته أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم والذين أجازوه، وكذا مروياته، ومن أولئك الشيوخ وتلك المرويات ما له صلة بالرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق، ومن ثم فقد أسهم هذا المصدر في رصد حركة رواية الكتب ونقلها من المشرق إلى الأندلس خلال القرن الهجري الخامس.

٣-الكتب الجامعة

ثمة مصنفات لا تنتمي إلى فن بعينه، ولا تنتسب إلى علم بحده، فتجمع فوائد شتى، وتتوزعها أغراض متشعبة، وشكلت مادتها الغزيرة والمتنوعة عمدة لجوانب مختلفة من الدراسة، وأبرز تلك المصنفات:

- "نفح الطيب" لأحمد المقري ت. ١٠٤١هـ/١٦٣١م:

خص المقري الباب الخامس من مصنفه لمن رحل من الأندلسيين إلى المشرق، ويمتد هذا الباب عبر الجزأين الثاني والثالث من "النفح"، وعد منهم حوالي ثمانية وثلاثمائة ٣٠٨ من الراحلين، منهم ثمانية وعشرون ٢٨ تقريبا سجلت لهم رحلة علمية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس.

ومن هذا المجموع المشارك في الرحلة خلال المدة موضوع الدراسة، أسماءٌ انفرد بها المقري، ولم ترد في تراجم الصلات الأندلسية، ومن ثم فإن "نفح الطيب" أسهم في بناء اللائحة الإحصائية للأندلسيين الراحلين إلى المشرق.

ولئن خلف المقري مراجعه في المغرب عند تصنيفه لمؤلفه بالمشرق، إلا أنه كان على موعد مع مصادر مشرقية، بل وأندلسية في مظانها؛ فمن الصنف الأول اعتمد "تاريخ بغداد" و"تاريخ دمشق" و"تاريخ أربل" و"تاريخ نيسابور" وغيرها، ومن الصنف الثاني نذكر "جذوة المقتبس" الذي ألفه الحميدي ببغداد.

إن مزاوجة المقري بين مصادر أندلسية ومشرقية عند ترجمته لأهل الرحلة، جعلت تراجمه غنية بمعلومات ضافية، ومفتقدة في كتب التراجم الأندلسية، فقد حاول

"نفـح الطيب" تغطية الشطـر المشرقي من رحلة الأندلسيين، وخاصة المقيمين منهم بصفة دائمة في المشرق، وهو شطر لم تلتفت إليه المصادر الأندلسية أحيانا.

إن هـذا الجانب الإيجابي في عمل المقـري، لا ينفي وجود هفوات في تأريخه للرحلة العلميـة الأندلسيـة إلى المشرق، ومن ذلك إشارته[1] إلى أن أبا بكر بن العربي المعافري سجـل له لقاء بالمشرق مع محمد بن تومرت خلال مدة تحصيلهما العلمي هناك، إلا أن القرائـن التاريخية تنفي وقوع اللقاء، فالأول بـدأ رحلته المشرقية سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وأنهاها سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[2]، بينما لم يشرع الثاني فيها إلا على رأس الخمسمائة[3].

- "قانون التأويل" لأبي بكر ابن العربي ت. ٥٤٣هـ/١١٤٨م:

تتجلـى الفائـدة القيمة لهـذا المصدر في كونـه تضمن خلاصة لرحلـة أبي بكر بن العربـي العلمية إلى المشرق،والتي يعتبر أصلها حاليا في عداد المفقود والمعنون بـ"ترتيب الرحلة للترغيب في الملة".

بعد خطبة الكتاب، جاء المحور الذي أفاد هذه الدراسة كثيرا، ويتعلق بمرحلة طلب العلـم عنـد أبي بكر بن العربـي، والتي قسمهـا إلى شطرين؛ في الأول تطـرق إلى ذكر ابتـداء طلبـه للعلم بالأندلس، فاستعرض البرنامج الدراسي الذي خضـع له، ثم أورد خروجه من إشبيلية عقب دخول المرابطين إليها.

أما الشطر الثاني من حياته في طلب العلم فخصصه لرحلته العلمية، حيث صدرها بالحديـث عن ظـروف خروجه من إشبيلية، ثـم رحلته عبر الأندلـس والمغرب الأوسط وإفريقـية وبرقة، حيث سجل له لقاء مع شيوخ العلم.

---

(١) النفح، ج. ٢، ص. ٢٣٧.

(٢) خلـف ابن بشكوال، "كتاب الصلـة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهـم وفقهائهم وأدبائهم"، تحقيـق: إبراهيـم الأبيـاري، ط. ١، دار الكتـاب المصـري ودار الكتـاب اللبنـاني، القاهـرة، بـيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، رقم.١٣٠٥.

(٣) عبـد المجيد النجار، "المهدي بن تومرت"، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب"، ط. ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م، ص. ٦٦.

أما رحلته العلمية المشرقية فحملته على التوالي إلى مصر والشام والعراق والحجاز ثم العودة إلى العراق، وعبر هذه المحطات العلمية كان أبو بكر بن العربي يصف ما استفاده من معارف، وما شارك فيه من مجالس علمية وحلقات المناظرة والمناقشة، مما مكنه من التوصل إلى المطلوب من العلم.

٤- النوازل الفقهية

أسهمت نوازل الحج في تفسير المنحى الذي اتخذه تيار الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال المدة موضوع الدراسة، وذلك بفعل الارتباط القوي بين أداء فريضة الحج والنشاط العلمي الأندلسي بالمشرق، وقد جاءت تلك النوازل في مصادر أبرزها:

- "نوازل ابن الحاج"[1] لأحمد بن الحاج الأندلسي ت. ٥٢٩هـ/١١٣٥م:

أورد ابن الحاج فتوى لابن حمدين الأندلسي، وأخرى لأبي عمران الفاسي؛ الأولى أعطت الأفضلية للجهاد على الحج، أما الثانية فقد أسقطت الحج عن أهل الأندلس لغياب الأمن في الطريق.

- "المعيار" لأبي العباس أحمد الونشريسي ت. ٩١٤هـ/١٥٠٨م:

جمع الونشريسي فتاوى تتعلق بموضوع الرحلة إلى المشرق لأداء الفريضة، وذلك في نوازل الحج. ويتعلق الأمر بفتاوى للطرطوشي وأبي بكر بن العربي وابن حمدين وأبي عمران الفاسي وأبي الحسن اللخمي وابن الصائغ.

يتضح من الأسئلة المرفوعة إلى هؤلاء الفقهاء، أن تيار الرحلة إلى المشرق واجه تحديات معقدة كالتهديدات المسيحية للأندلس، والتحرشات الصليبية في عرض البحر المتوسط، وخطورة استعمال مراكب النصارى، والصعوبات التي يطرحها الطريق البري إلى المشرق.

وقد جاءت فتاوى الفقهاء باستثناء أبي بكر بن العربي- مفضلة للجهاد على الحج، ومؤثرة للسلامة على المغامرة.

(١) مخطوط خ. أ.، إقليم تيزنيت، ضمن مجموع.

٥- كتب الرحلات

تميـزت مصادر الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشـرق حتى أواخر القرن الهجري الخامس باعتمادها الأساس على معطيات كتب التراجم والسير، وكان على هذه الرحلة الانتظـار حتى مجـيء أبي بكر بن العربي الـذي أضاف رقما جديـدا إلى مصادر تلك الرحلـة؛ فقد ذهب كل مـن أغناطيوس كراتشكوفسكي[١] وحسـين مؤنس[٢] إلى اعتبار ابـن العربي أول مـن وضع الأسـاس لفـن الرحلات الأندلسي، وذلك مـن خلال مؤلَّفه "ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة"، والذي ضاع أصله، غير أن منتخبات منه توزعتها مؤلفاته الأخرى التي سترد في مكانها المناسب.ولئن ضاع أصل "ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة"، فإن لابن العربي مؤلَّفا آخر في الرحلة، وهو:

- "رحلة أبي بكر ابن العربي"[٣] أو "شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان"

صـدَّر أبو بكر بن العربي مؤلَّفـه بتقييم لتحصيل طلبة العلم في المحطات العلمية التـي ارتادها بإفريقيـة والمشرق، ثم لمح إلى رحلته، منوهـا بصحبـة والده إياه ودورها في تحقيـق تحصيله العلمي، مشـيرا إلى أن تفاصيل الرحلة منزلـة في كتاب "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة".

بعـد هـذه المقدمة شرع أبو بكر بن العربي في سرد أربـع رسائل استحوذ مضمونها علـى مؤلفه هذا؛ الأولى كتبها والده، وهي موجهـة إلى الخليفة المستظهر العباسي، أما الثانيـة فكتبها الوزيـر العباسي محمد بن جهير باسم الخليفـة المستظهر العباسي إلى يوسـف بـن تاشفين، والرسالـة الثالثة لأبي حامـد الغزالي يؤيد فيها جهـاد يوسف بن

(١) اغناطيوس كراتشكوفسكي، "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"، ترجمه عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ط. ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص. ٣٣١.

(٢) حسـين مؤنس، "تاريـخ الجغرافيـة والجغرافيـين في الأندلـس"، ط. ٢، مكتبـة مدبـولي، القاهـرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صفحتا. ٣٩٤-٣٩٥.

(٣) توجـد مخطوطة بهذا العنوان في الخزانة الوطنية بالرباط تحت رقم. ١٠٢٠ D، ونشرت بعناية عصمت دندش، "دراسة حول رسائل ابن العربي والتي تسمى برحلة أبي بكر بن العربي"، المناهل، السنة ٤، عدد ٩، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، صفحات. ١٤٨-١٩١.

تاشفين، ويوصي الحاكم المرابطي خيرا بابن العربي وولده، منوها بجدهما في تحصيل العلم. أما الرسالة الرابعة فلأبي بكر الطرطوشي يعظ فيها الأمير المرابطي، ويوصيه خيرا بابن العربي الولد بعد وفاة الوالد بالإسكندرية.

ورغم الطابع السياسي لهذه الرسائل، إلا أنها تضمنت معطيات أفادت في تحليل دواعي رحلة العلماء الأندلسيين إلى المشرق، إضافة إلى إشارات عن التحصيل العلمي لابن العربي.

- "الرسالة المصرية"[1] لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ت.٥٢٨هـ/١١٣٤م

وضع أبو الصلت هذه الرسالة للأمير أبي الطاهر يحيى بن تميم بن بادس، وذلك على إثر حلول أبي الصلت بإفريقية. تضمنت "الرسالة" وصفا لما عاينه في مصر من مظاهر جغرافية وأثرية واجتماعية وعلمية، وشرحا لما عاناه من عنت ولقيه من خيبة في أرض الكنانة.

قدمت هذه "الرسالة" تقييما أندلسيا للحياة العلمية بمصر باعتبارها إحدى المحطات العلمية المشرقية، كما أفادت في تحليل دواعي رحلة العلماء الأندلسيين إلى المشرق.

- "سفرنامه" لأبي معين الدين ناصر خسرو ت. ٤٨١هـ/١٠٨٨م

انطلقت رحلة ناصر خسرو من بلاد فارس سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٦م، واستغرقت سبع سنين، تنقل خلالها عبر أرض الشام والديار المصرية والحجاز، حيث حج حجتين. وقد مكنته هذه الرحلة من رصد مشاهد عديدة لمختلف مناحي الحياة في الجهات التي حل بها، ومنها الحياة العلمية، كما التقط معطيات بعضها مشاهدة، وبعضها الآخر سماعا عن أحوال الطارئين من المغاربة على المشرق.

وقد أفادت هذه الرحلة في تغطية بعض الفراغات التي تشكو منها الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق من عدة جوانب.

(١) لا تمت هذه الرسالة إلى تخصص علمي بعينه، غير أنها تكتسب بعض مقومات فن الرحلة، ومن ثم أدرجت ضمن مصنفات الرحلات.

٦-كتب التفسير

- "أحكام القرآن" لأبي بكر بن العربي

تـتردد في ثنايا هذا الكتاب بعض إفادات أبي بكر بن العربي من رحلته العلمية إلى المشرق، كما تضمن هذا المصدر فصولا من رحلته المفقودة، كحواره مع الطرطوشي في الإسكندرية ووصفا لمزاراته المشرقية التي كان لبعضها ارتباط بتحصيله العلمي.

٧-كتب علم الكلام وأصول الدين

- "العواصم من القواصم" لأبي بكر بن العربي

تحدث أبو بكر بن العربي في "العواصم من القواصم" -كدأبه في معظم مؤلفاته- عـن رحلته العلمية إلى المشـرق، وما استفاده وأفاده من خـلال حضوره مجالس الأئمة ومناظرتـه لمختلف الفرق الكلامية، ومناقشتـه لأرباب الملل، وذلك بمحطاته العلمية في كل من الشام والعراق.

- "أجوبة أسئلة ابن العربي..."

تضمن هذا المصـدر[١] أسئلة أبي بكر بن العربي وأجوبة شيخه أبي حامد الغزالي عليهـا، وتفتقر تلك الأسئلـة والأجوبة إلى التنسيق، حيث يطبعهـا عدم الانتظام داخل المخطوطـة. وتتفاوت الأسئلة في الطول والقصر، متسمـة بالجرأة في الطرح، مفصحة عـن الرغبـة الأندلسية في سبر أغوار علم الكلام وأصول الديـن. أما الأجوبة فتنم عن عمق في التكوين، وصرامة في المنهج لدى الغزالي.

٨-المعاجم الجغرافية

- "معجم البلدان" لشهاب الدين ياقوت الحموي ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م

أسهـم هذا المصـدر في التعريف ببعض المحطـات العلمية المشرقيـة المشهورة منها والمغمورة، والتي ارتادها الأندلسيون، كما أفاد في رصد العطاء العلمي بالمشرق لأندلسيين أقاموا بصفة دائمة بالمشرق، وهي صفحة لم تلتفت إليها المصادر الأندلسية أحيانا.

(١) مخطوطة المكتبة الوطنية، الرباط، رقم. ق.٥٥٥.

محددات موضوع الدراسة

أ-على مستوى المحتوى

- الرحلة العلمية: تميزت الرحلة بتعدد أقسامها[١]، ومنها الرحلة العلمية التي تعتبر من أبرز سمات التعليم الإسلامي خلال العصر الوسيط، ومن أعلى مراحل هذا التعليم، وفيها ينتقل الراحل من مكان لآخر لغرض علمي[٢].

وتتميز الرحلة العلمية بكونها مجالا للأخذ والعطاء العلميين، حيث تستوعب الطلبة والأساتذة على السواء.

ولما كان العلم محور هذه الرحلة، فلابد من وقفة عند هذا المصطلح، لاستجلاء جوانبه، ومعرفة حدوده. إن توظيف العلم في الفكر الإسلامي يتسم بالشمولية، فلا يُفرق هذا الفكر في مفهومه للعلم بين المعارف التي انبثقت عن الوحي ومدارك الإنسان الأخرى، فلا غرو إذًا أن يخلص ابن حزم –بعد تحقيق وصحة نظر- إلى تعريف جامع للعلم، مفاده أن كل "ما عُلِم فهو عِلم"[٣].

وجاء تصنيف ابن خلدون للعلوم، في السياق ذاته، وفيا لهذه الشمولية في مفهوم العلم؛ فلم ينزع صفة العلمية عن تخصصات، كما لم يقص معارف طالما حذر الإسلام من ممارستها كالسحر على سبيل المثال[٤].

تأسيسا على ما سبق، فإن توظيفنا للعلم في إطار هذه الدراسة يأخذ بعدا شموليا، انسجاما مع التصور السائد في الثقافة الإسلامية، وعليه، فالرحلة العلمية لم تكن قاصرة على العلوم الشرعية، بل امتدت إلى جميع العلوم والمعارف.

---

(١) أوصلها المرحوم محمد الفاسي إلى خمسة عشر نوعا، تنظر: مقدمة "الإكسير في فكاك الأسير" لابن عثمان المكناسي، ط. ١، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٩، صفحات. خ-ر.

(٢) عبد الحميد عيسى: "تاريخ التعليم في الأندلس"، ط. ١، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص. ٤٠٩.

(٣) أبو محمد علي بن حزم، "رسالة مراتب العلوم"، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط. ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ج. ٤، ص. ٨١.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط ٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ج.٣، ص. ١١٤٧.
عبد الله حسيني، "تصنيف العلوم بين الفكر الوضعي والفكر الإسلامي"، مجلة الهدى عدد خاص بالإسلام والمسألة العلمية، عدد ٣٣، فاس، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، صفحتا. ٢٠-٢١.

- **الأندلسية:** لا نستهدف من وراء الوقفة عند هذا المصطلح تحديد الإطار الجغرافي للأندلس، بقدر ما نصبو إلى تعريف "الأندلسي" باعتباره شخصا فاعلا في الرحلة العلمية. وهذا التعريف له مسوغاته، فقد عرفت الأندلس موجة تنقل بشري من وإلى شبه جزيرة إيبريا، خاصة أواخر القرن الهجري الخامس، حيث نشط تيار الهجرة –على سبيل المثال- بين العدوتين بعد انصهارهما في إطار الوحدة السياسية التي أنجزها المرابطون، فكان أن بعض أهل العدوة يرحلون إلى المشرق بعد استقرارهم بالأندلس، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن بعض كتاب التراجم –وبدافع التعصب- ينسبون أشخاصا إلى الأندلس، وهم ليسوا كذلك، وهو ما سجله ابن عبد الملك[1] على ابن الأبار، ومثل هذه الإشكالات تدفع إلى طرح السؤال الآتي: من هو الأندلسي؟

حاول ابن حزم تقديم إجابة مبنية على إجماع المؤرخين واتفاقهم "على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها"[2]، وبناء على هذه القاعدة، فإن ابن حزم يقرر أن من هاجر إلى الأندلس من سائر البلاد، فالأندلس أحق به، وهو من أهلها[3].

ولن نبتعد عن هذا التعريف الحزمي للأندلسي، في إطار هذه الدراسة، عند تحديد لائحة الأندلسيين المشاركين في تيار الرحلة العلمية إلى المشرق، فعلى سبيل المثال، تم إدراج ميمون بن ياسين المرابطي -وهو من مراكش- ضمن هذه اللائحة، لكونه يستجيب لشرط ابن حزم في منح "الجنسية الأندلسية"، فقد ذكر ابن عبد الملك[4] أن ابن ياسين سكن أولا ألمرية، ثم استقر أخيرا في إشبيلية.

ب-على مستوى المكان

- المشرق: يذكر الحموي[5] أن أصل تسمية "المشرق والمغرب" من أهل مصر، فما يقع عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب يسمى مغربا، وما يوجد عن شمائلهم يسمى مشرقا.

(١) الذيل والتكملة، س.٨، ق.١، ص. ٣٤٩.
(٢) أبو محمد علي بن حزم، "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها"، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج.٢، ص. ١٧٥
(٣) المصدر نفسه، ص. ١٧٦.
(٤) الذيل والتكملة، س. ٨، ق. ٢، رقم ١٨٦.
(٥) أبو عبد الله شهاب الدين الحموي، "معجم البلدان"، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج. ١، ص. ٧٣ مادة: المشرق.

وذكر الذهبي[1]، في الاتجاه ذاته، أن المشرق في عرف المغاربة مصر وما يليها جهة المشرق، وبالمقابل فإن المغرب في عرف المشارقة مصر وما تغرَّب عنها.

ورجح القلقشندي[2] أن تكون مصر سُميت بهذا الاسم لكونها حدا فاصلا بين المشرق والمغرب، إذ المصر في لغة العرب اسم للحد بين أرضين.

ورغم هذا الاتفاق بين هؤلاء المشارقة حول تحديد المشرق والمغرب، إلا أن بعض كتاب التراجم الأندلسين[3] شذوا عن هذا الإجماع، و يبدو من ترجمتهم لبعض راحلي القرن الهجري الخامس، اعتبارهم إفريقية ضمن المشرق.

والمعتمد في هذه الدراسة حول تحديد المشرق، هو ما ذهب إليه كل من الحموي والذهبي والقلقشندي، مع تركيزنا على المشرق العربي الذي يشمل كلا من مصر والشام والعراق والجزيرة العربية، باعتبارها المجال الجغرافي الذي استوعب معظم الأندلسيين الراحلين إلى المشرق خلال المدة موضوع الدراسة.

ج-على مستوى الزمن

- القرن الهجري الخامس: حاولت هذه الدراسة رصد حركة الأندلسيين إلى المشرق خلال الفترة الممتدة بين سنتي ٤٠٠ و٤٩٩هـ، أي التركيز على الراحلين الذين سجلت لهم الرحلة على مدار هذا القرن. غير أن غياب سنة الرحلة في معظم تراجم الراحلين يطرح صعوبات جمة؛ فأعمار العديد من الراحلين منها ما يضرب بجذوره في القرن الهجري الرابع، ومنها ما يمتد بفروعه إلى القرن الهجري السادس، ومن التراجم ما يفتقر إلى أي معطيات تاريخية عن الميلاد والوفاة.

(١) شمس الدين الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوس، ط. ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج. ١٨، ص. ٨٠.

(٢) أحمد بن علي القلقشندي، "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج. ٣، ص. ٣٥١.

(٣) ينظر على سبيل المثال: ابن بشكوال، "كتاب الصلة"، ج.٢، صفحتا. ٤٣٥-٤٣٦، ج.٣، صفحتا. ٨١٣-٩٦٠.

وأمـام هذه الإشكالات، يتم اللجـوء إلى سني وفاة شيوخ العلم المشارقة الذين أخذ عنهم الأندلسي، وعند فقدان هذا المعطى الأخير يتم اعتماد السياق الزمني الذي تأتي فيه الترجمة من خلال المصدر.

وهكـذا، فـإن محاولـة الحصـر الزمني لظاهـرة تاريخية كتيـار الرحلـة العلمية الأندلسيـة إلى المشرق يستلزم التحلي ببعض المرونة لتجاوز الهنات التي تطرحها المادة المصدرية.

- **على مستوى المنهج**

إن موضوعـا كموضوع الرحلة العلمية الأندلسيـة إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامـس، يكاد يستند في معطياتـه إلى مصادر التراجم والسير، وكمـا هو معلوم فإن هـذه الكتب تضـم أعدادا هائلة مـن تراجم علمـاء الأندلس في مختلـف القرون، مما يجعل مهمة الباحث شاقة عند سعيه لاستقصاء سِير العلماء المعاصرين للمدة موضوع الدراسة فضلا عن الراحلين منهم إلى المشرق.

ولمـا كانت هـذه الدراسة تستهدف رصد تيـار الرحلة العلمية الأندلسيـة إلى المشرق خـلال فترة زمنية معينة، فقد حاولنا الخـروج عن ظاهرة الترجمة المحدودة للراحل إلى أفق رحب يسمح برسم صورة عامة تقريبية للرحلة العلمية بجوانبها المختلفة. ومن ثم جاء تبنـي المنهج الكمي التحليلي، وذلك بمحاولة الجرد الاستكشافي لمختلف المصادر[1]، مما أسفر عن لائحتين للراحلين الأندلسيين إلى المشرق: أولاهما بناء على "صلة" ابن بشكوال، وثانيتهما تكميلية "للصلة" واستدراك عليها[2]، وبلغ عدد الأسماء التي تم إحصاؤها أربعة

(١) ظهـرت منذ سنوات دراسات أجنبية اعتمدت الجرد الاستكشـافي لبعض المؤلفات البيوغرافية، ومنها أطروحة أورفوا دومينيك Urvoy Dominique التي سبقت الإشارة إليها، إضافة إلى دراسات أخرى تنظر عند:
محمد الشريف، "ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية-الأندلسية، قراءة في كتاب "عـالم علماء الأندلس" لدومنيك أورفـوا"، التراث المغربي الأندلسي: التوثيق والقراءة، جامعة عبد المالـك السعدي، كلية الآداب والعلـوم الإنسانية، منشورات الكلية، نـدوات ٤، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص. ٥١٠، تعليق رقم. ١١.

(٢) تم اعتماد مصادر أندلسية ومشرقية في اللائحة التكميلية. ينظر الملحق.

عشرة ومائتي ٢١٤ راحل أندلسي إلى المشرق، معززة بمعطيات عن تواريخ الميلاد والرحلة والوفـاة، إضافة إلى موطن الراحـل بالأندلس، وتخصصه العلمـي، ثم محطاته العلمية بالمشرق، وترد هذه المعطيات بحسب توافرها في مظانها.

ولرصـد تيار الإفادة الأندلسيـة بالمشـــرق، تم اعتماد لائحة ثـــالثة تتضمن اسم الـــراحـل ومعطيات عن موطنه بالأندلس، ومحطـة إفادته بالمشرق، ومجال عطائه، إضافة إلى طبيعة إقامته هنالك.

وللوقوف على حركة رواية الكتب ونقلها من المشرق إلى الأندلس، تم جرد المرويات التـي عرفـت طريقها إلى الأندلـس خلال المدة موضـوع الدراسة، وذلـك انطلاقا من "فهرسة" ابن خير التي قامت بتغطية معتبرة في هذا الإطار.

تأسيسا على معطيات هذه اللوائح، تم استخلاص عدة جداول إحصائية، محاولين تعزيزهـا بمبيانات وخرائط حسب الحاجة، وشكلت تلك الجداول والمبيانات والخرائط أرضية لتسليط الأضواء على مختلف زوايا الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق.

ونظرا لوفرة عدد الأندلسيين المشاركين في الرحلة خلال القرن الهجري الخامس، فقد وقع الاختيـار على أبرزهـم وأكثرهـم فاعليـة في تيار الرحلة، وذلك عند تحليل بعض جوانب الدراسة.

وفي ضوء محددات موضوع البحث هذه، وانطلاقا من المادة المصدرية تلك، تبلورت خطة هذه الدراسة.

عناصر الدراسة

صُـدّر هذا البحث بمدخل تاريخـي يتناول لمحة عن الرحلة العلميـة الأندلسية إلى المشـرق حتى القـرن الهجري الخامس، وذلـك ليتأتى لنا أخذ فكـرة متكاملة عن هذه الرحلة خلال القرن الهجري الخامس.

وقسم الموضوع إلى أربعة أبواب رئيسة.

يتنـاول **البـاب الأول** تيار الرحلة العلميـة الأندلسية إلى المشرق بـين الاستمرارية

والتراجع، وذلك من خلال فصلين، يتطرق أولهما لاستمرارية هذا التيار معززا بالمعطيات الإحصائية، ومحاولا تفسير دواعي هذه الاستمرارية، والتي تتضافر فيها عوامل دينية وعلمية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

أما الفصل الثاني فيرصد التراجع الحاصل في هذا التيار خلال المدة موضوع الدراسة، مستندا إلى مؤشرات إحصائية من المصادر، ومحاولا تعليل هذا التراجع بعوامل ذات صلة بالشخصية العلمية الأندلسية، وأخرى لها علاقة بالتحولات السياسية وبمسلسل الصراع الإسلامي المسيحي وبفساد السبيل إلى المشرق.

أما الباب الثاني فيحاول رصد بنيات الأندلسيين الراحلين إلى المشرق، وكذا توزيعهم الجغرافي، مستندا أساسا إلى معطيات إحصائية مستخلصة من كتب التراجم والسير. وقسم هذا الباب إلى فصلين؛ يعالج أولهما بنيات الأندلسيين الراحلين على المستويات الجنسية والعمرية والتخصصية.

أما ثاني الفصول فيتناول التوزيع الجغرافي للأندلسيين الراحلين؛ أولا على مستوى مواطنهم بالأندلس، وثانيا على مستوى المحطات العلمية بالمشرق.

أما الباب الثالث فيتطرق للاستفادة العلمية الأندلسية بالمشرق، والتي اتخذت عدة اتجاهات، موزعة عبر فصول ثلاثة؛ تناول أولها الرغبة في علو الإسناد وفي نيل الإجازة المشرقية، بينما انصب الفصل الثاني على إبراز الاتجاه الأندلسي نحو تعميق التخصص من خلال علمي الطب والزراعة تحديدا، ونحو طلب تخصصات جديدة، واعتُمِد أبو بكر بن العربي باعتباره علَما نموذجيا.

أما الفصل الثالث فتناول نقل المرويات من المشرق من خلال نقطتين؛ ركزت الأولى على إبراز خصائص رواية الكتب ونقلها، بينما حاولت الثانية تقديم نماذج من المرويات في مختلف التخصصات، وتتخلل معطيات إحصائية هذا الباب.

وفي الباب الرابع، تم التركيز على الإفادة العلمية الأندلسية بالمشرق، وذلك عبر فصلين؛ تناول الفصل الأول الإفادة في المجال التعليمي، وفيه تم الرصد الإحصائي

لهيئـة التدريس الأندلسيـة بالمشرق من مختلف الجوانب، كمـا تم التطرق إلى مظاهر نشاطها التعليمي بالمشرق.

أما الفصل الثاني فيعالج الإفادة في المجال العلمي، حيث سجل الأندلسي عطاءه في التصنيف وعلم الحيل والطب والعدد والهندسة والتنجيم.

وخُتمت الدراسة بخلاصة حاولت إبراز النتائج التي تم التوصل إليها.